تفسير القرآن الكريم

سورة آل‌عمران ١٨-٨-١٤٠٥ ١٠٧

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادوي الطهراني

سورة آل‌عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة آل‌عمران

الم(١)

سورة آل‌عمران

اللَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ(٢)

سورة آل‌عمران

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ أَنزَلَ التَّوْرَئةَ وَ الْانجِيلَ(٣)

مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَ أَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِايَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ(٤)

سورة آل‌عمران

إِنَّ اللَّهَ لَا يخَفَى عَلَيْهِ شىَءٌ فىِ الْأَرْضِ وَ لَا فىِ السَّمَاءِ(۵)

سورة آل‌عمران

هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(٦)

هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ
مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَ أُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ
فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَ مَا يَعْلَمُ
تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِهِ كلُ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلَّا
أُوْلُواْ الْأَلْبَابِ(٧)

سورة آل‌عمران

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا
وَ هَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ
أَنتَ الْوَهَّابُ(٨)

سورة آل‌عمران

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ(٩)

سورة آل‌عمران

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْا وَ أُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ(١٠)

كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِايَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ(١١)

سورة آل‌عمران

قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلَىَ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهَادُ(١٢)

سورة آل‌عمران

قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ
تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ أُخْرَى كَافِرَةٌ
يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ وَ اللَّهُ
يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَالِكَ
لَعِبرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَرِ(١٣)

سورة آل‌عمران

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعَمِ وَ الْحَرْثِ ذَالِكَ مَتَعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَ اللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَابِ(١۴)

سورة آل‌عمران

قُلْ أَ أُنَبِّئُكُم بِخَيرْ مِّن ذَالِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تحَتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِدِينَ فِيهَا وَ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَ رِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرُ بِالْعِبَادِ(١٥)

سورة آل‌عمران

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ(١٦)

الصَّابِرِينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الْقَانِتِينَ وَ الْمُنفِقِينَ وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ(١٧)

سورة آل‌عمران

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلَئِكَةُ وَ أُوْلُواْ الْعِلْمِ قَائمَا بِالْقِسْطِ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(١٨)

سورة آل‌عمران

إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْاسْلَامُ وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيَا بَيْنَهُمْ وَ مَن يَكْفُرْ بِايَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ(١٩)

سورة آل‌عمران

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَ
مَنِ اتَّبَعَنِ وَ قُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ
وَ الْأُمِّيِّنَ ءَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ
اهْتَدَواْ وَّ إِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
الْبَلَاغُ وَ اللَّهُ بَصِيرُ بِالْعِبَادِ(٢٠)

سورة آل‌عمران

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِايَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيرِ حَقٍ وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(٢١)

سورة آل‌عمران

أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الاَخِرَةِ وَ مَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ(٢٢)

سورة آل‌عمران

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَ هُم مُّعْرِضُونَ(٢٣)

سورة آل‌عمران

ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَ غَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ(٢٤)

سورة آل‌عمران

فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ(٢٥)

سورة آل‌عمران

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَ تَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَ تُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَ تُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيرُ إِنَّكَ عَلَىَ كلُ شىَءٍ قَدِيرٌ(٢٦)

سورة آل‌عمران

تُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ تُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ تَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيرِ حِسَابٍ(٢٧)

سورة آل‌عمران

لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَ مَن يَفْعَلْ ذَالِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَئةً وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ(٢٨)

سورة آل‌عمران

قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلَىَ كُلّ شَىَءٍ قَدِيرٌ(٢٩)

سورة آل‌عمران

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيرٍ
مُحْضَرًا وَ مَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ
لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَ
يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ اللَّهُ رَءُوفُ
بِالْعِبَادِ(٣٠)

سورة آل‌عمران

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٣١)

سورة آل‌عمران

قُلْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يحُبُّ الْكَافِرِينَ(٣٢)

سورة آل‌عمران

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى ءَادَمَ وَ نُوحًا وَ ءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَ ءَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ(٣٣)

سورة آل‌عمران

ذُرِّيَّةَ بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(٣٤)

سورة آل‌عمران

إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(٣٥)

سورة آل‌عمران

فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى
وَضَعْتُهَا أُنثَى وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
وَضَعَتْ وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى وَ
إِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَ إِنِّى أُعِيذُهَا بِكَ
وَ ذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ(٣٦)

سورة آل‌عمران

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنىَ لَكِ هَاذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيرِ حِسَابٍ(٣٧)

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ
هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً
إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ(٣٨)

سورة آل‌عمران

فَنَادَتْهُ الْمَلَئكَةُ وَ هُوَ قَائمٌ يُصَلىّ فىِ الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيىَ مُصَدِّقَا بِكلَمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَ سَيِّدًا وَ حَصُورًا وَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّلِحِينَ(٣٩)

سورة آل‌عمران

قَالَ رَبِّ أَنىَ يَكُونُ لي غُلَامٌ وَ قَدْ بَلَغَنيِ الْكِبَرُ وَ امْرَأَتيِ عَاقِرٌ قَالَ كَذَالِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ(۴۰)

سورة آل‌عمران

قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّیٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَ اذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَ سَبِّحْ بِالْعَشِيِ وَ الْابْكَرِ(۴۱)

سورة آل‌عمران

وَ إِذْ قَالَتِ الْمَلَئكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَئكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفَئكِ عَلَىَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ(۴۲)

سورة آل‌عمران

يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِى وَ ارْكَعِى مَعَ الرَّاكِعِينَ(۴۳)

سورة آل‌عمران

ذَالِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ
وَ مَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ
أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَ مَا
كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ(٤٤)

سورة آل‌عمران

إِذْ قَالَتِ الْمَلَئِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَ الاْخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ(۴۵)

وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا وَ مِنَ الصَّالِحِينَ(۴۶)

سورة آل‌عمران

قَالَتْ رَبِّ أَنىَ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَ
لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَالِكِ اللَّهُ
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضىَ أَمْرًا
فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ(٤٧)

سورة آل‌عمران

وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْرَئةَ وَ الْانجِيلَ(۴۸)

وَ رَسُولاً إِلىَ بَنىِ إِسْرَءِيلَ أَنىّ قَدْ جِئْتُكُم بِاَيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنىّ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيَئَةِ الطَّيرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْىِ الْمَوْتىَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكلُونَ وَ مَا تَدَّخِرُونَ فىِ بُيُوتِكُمْ إِنَّ فىِ ذَالِكَ لاَيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(٤٩)

سورة آل‌عمران

وَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ
التَّوْرَئةِ وَ لِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِى
حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَ جِئْتُكُمْ بِايَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ(٥٠)

إِنَّ اللَّهَ رَبِّی وَ رَبُّکُمْ فَاعْبُدُوهُ
هَاذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ(٥١)

سورة آل‌عمران

فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنهُمُ الْكُفْرَ قَالَ
مَنْ أَنصَارِى إِلَىَ اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نحَنُ أَنصَارُ اللَّهِ
ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَ اشْهَدْ بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ(٥٢)

رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ(٥٣)

سورة آل‌عمران

وَ مَكَرُواْ وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيرُ الْمَاكِرِينَ(٥٤)

سورة آل‌عمران

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسىَ إِنىّ مُتَوَفِّيكَ وَ رَافِعُكَ إِلَيَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَ جَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلىَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ(٥٥)

سورة آل‌عمران

فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَ الاَخِرَةِ وَ مَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ(٥٦)

وَ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَ عَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ(٥٧)

ذَالِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الاَيَاتِ وَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ(٥٨)

سورة آل‌عمران

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ(٥٩)

الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ(٦٠)

سورة آل‌عمران

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنفُسَنَا وَ أَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَذِبِينَ(٦١)

سورة آل‌عمران

إِنَّ هَاذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَ مَا مِنْ إِلَاهٍ إِلَّا اللَّهُ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(٦٢)

فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ بِالْمُفْسِدِينَ(٦٣)

• فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ

- قوله تعالى: فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ، لما كان الغرض من المحاجة وَ كذا المبَاهلَة بحسَبَ الحقيقة هو إظهار الحق لم يكن يعقل التولى عن الطريق لمريد الغرض و المقصد فلو كانوا أرادوا بذلک إظهار الحق و هم يعلمون أن الله سبحانه ولى الحق لا يرضى بزهوقه و دحوضه لم يتولوا عنها

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٢٨

• فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ

- فإن تولوا فإنما هو لكونهم لا يريدون بالمحاجة ظهور الحق بل الغلبة الظاهرية و الاحتفاظ على ما فى أيديهم من حاضر الوضع، و السنة التى استحكمت عليه عادتهم، فهم إنما يريدون ما تزينه لهم أهواؤهم و هوساتهم من شكل الحياة، لا الحياة الصالحة التى تنطبق على الحق و السعادة فهم لا يريدون إصلاحا بل إفساد الدنيا بإفساد الحياة السعيدة فإن تولوا فإنما هو لأنهم مفسدون.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٢٨

- فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ

- و من هنا يظهر أن الجزاء وضع فيه السبب مكان المسبب أعنى الإفساد مكان عدم إرادة ظهور الحق.
- و قد ضمن الجزاء وصف العلم حيث قيل فإن الله عليم ثم أكد بإن ليدل على أن هذه الصفة متحققة فى نفوسهم ناشبة فى قلوبهم فيشعر بأنهم سيتولون عن المباهلة لا محالة، و قد فعلوا و صدقوا قول الله بفعلهم.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٢٨

سورة آل‌عمران

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْا وَ لَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ(٦٤)

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- آية واحدة.
- النزول:

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۸۸

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- قيل فى من نزلت هذه الآيۀ ثلاثۀ أقوال:

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۸۸

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكمُ

- أحدها- ذكره الحسن، و السدى، و ابن زيد، و محمد بن جعفر بن الزبير:أنهم نصارى نجران.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۸۸

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ

- و الثانى- قال قتادة، و الربيع، و ابن جريج: أنهم يهود المدينة، و قد روى ذلك أصحابنا. و وجه هذا القول أنهم أطاعوا الأحبار طاعة الأرباب، فسلكوا بهم طريق الضلال. و يدل على ذلك قوله: (عز و جل) «اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ» «١»
- (١) سورة التوبة آية: ٣٢.

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ

- و روى عن أبى عبد اللَّه (ع) أنه قال ما عبدوهم من دون اللّه و إنما حرموا لهم حلالا و أحلوا لهم حراماً، فكان ذلک اتخاذ الأرباب من دون اللَّه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۸۸

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- الثالث- ذكره أبو على الجبائى أنها فى الفريقين من أهل الكتاب على ظاهر الكلام.
- المعنى، و الاعراب، و اللغة:

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۸۸

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- و قوله: «إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ» فسواء اسم و ليس بصفة و إنما جر سَواء بتَقدِير ذاتَ سواء فى قول الزجاج. و كان يجوز نصبه على المصدر، و موضع «أن لا» خفض على البدل من (كلمة). و قال الرمانى: إنما أجراه على الاول، و هو الثانى و لا يجوز فى مثل قولك مررت برجل سواء عليه الخير و الشر غير الرفع لأمرين:

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۸۸

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- أحدهما- أن رفع الثانى بتقدير محذوف، كأنه قال هى «ألا تعبد إلا الله»، فيكون سواء من صفة الكلمة فى اللفظ، و المعنى.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۸۸

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- و يجوز أن يكون موضعه خفضاً على البدل من الكلمة، و تقديره تعالوا إلى ألا نعبد إلا اللَّه، و كذلک جاء ما لا يصلح للأول على الاستئناف، نحو «اَلَّذى جَعَلْناهُ لِلنَّاسِ سَواءً الْعاكِفُ فيه وَ الْباد» «۱» و كذَلک «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوَا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَ مَمَاتُهُمْ»

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۸۹

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ

- «٢». الثانى- أن يقع بمعنى المصدر فى موضع الصفة الجارية بتقدير (كلمة) مستوية «بَيْنَنا و بَيْنَكُمْ» فيها الامتناع من عبادة غير اللّه. و إنما جاز، لأن لا نعت بغير معنى الكلمة، فصار بمنزلة إضمار الكلمة. و الفرق بين كلمة عدل و كلمة سواء [أن «كَلِمَةٍ سَواء»] بمعنى مستوية و أن عدل بمعنى عادلة فيماَ يگون مًنها، كما تقول رجل عدل أى عادل،

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٤٨٩

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- فاما كلمة مستوية فمستقيمة، كما يقال: الرجل مستو- فى نفسه- غير مائل عن جهته، فلذلک فسر سواء على الوجهين، فكان يجوز فى العربية الجزم فى «أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ» على طريق النهى، كقولک آتنى وقت يأتى الناس لا تجىء فى غير ذلک من الأوقات، و يجوز فيه الرفع أيضاً بمعنى الحكاية على أن تقول «أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ»

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۸۹

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- و أجاز الفراء الجزم عطفاً على موضع (أن) لأنها فى موضع جواب الامر على تقدير «تعالَوا إلى كَلمَةٍ سَواء بَيْنَنا و بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً» كما تقول: تعالوا لا نقل إلاَ خيراً،

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۸۹

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- و هذا لا يجوز عند البصريين، لأن (أن) لا توافق معنى الجواب كالفاء فى قوله: «فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ» «٣» كما توافقه «إذا» في قوله: «وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذا هُمْ يَقْنَطُونَ» «۴»

التبيان فى تفسير القرآن، ج۲، ص: ۴۸۹

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- و اللام فی قوله: «فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» إنما اتصل بما قبله علی تقدیر: قابلوا إعراضهم عن الحق بخلافه للإنکار علیهم و تجدیداً للإقرار به عند صدهم أی أقیموا علی إسلامکم، و قولوا لهم: «اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» مقیمون علی الإسلام.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۲، ص: ۴۸۹

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- (١) سورة الحج آية: ٢٥.
- (٢) سورة الجاثية آية: ٢٠.
- (٣) سورة المنافقين آية: ١٠.
- (٤) سورة الروم آية: ٣٦.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٢، ص: ٤٨٩

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- بيان
- شروع فى المرحلة الثانية من البيان المتعرض لحال أهل الكتاب عامة و النصارى خاصة و ما يلحق بذلک. فقد كانت الآيات فيما مر تعرضت لحال أهل الكتاب عامة بقوله: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّه الْإِسْلامُ»: آل عمران- ١٩، و بقوله أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ»: آل عمران- ٢٣،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٦

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- ثم انعطف البيان إلى شأن النصارى خاصة بقوله: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً إلخ: آل عمران- ٣٣، و تعرضت في أثنائها لولاية المؤمنين للكافرين بقوله: «لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ»: آل عمران- ٢٨، فهذا فى الَمرحلَة البادئة.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٦

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- ثم عادت إلى بيان ما ذكرته ثانيا بلسان آخر و نظم دون النظم السابق فتعرضت لحال أهل الكتاب عامة فى هذه الآيات المنقولة آنفا، و ما سيلحق بذلک من متفرقات بحسب مساس خصوصيات البيانات بذلک كقوله: «قُلْ يا أَهْلَ الْكتاب لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيات اللَّه إلخ: آل عمران- ۹۸، و قوله: «قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّه إلخ: آل عمران- ۹۹،

الميزان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۴۶

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- و تعرضت لحال النصارى و ما تدعيه فى أمر عيسى ع بقوله: «ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتابَ» الخ: آل عمران- ٧٩، و تعرّضت لأمور ترجع إلَى المؤمنين من دعوتهم إلى الإسلام و الاتحاد و الاتقاء من ولايۀ الكفار و اتخاذ البطانۀ من دون المؤمنين فى آيات كثيرۀ متفرقۀ.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٦

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ

- قوله تعالى: قُلْ يا أَهْلَ الْكتاب تَعالَوْا إلى كَلمَة سَواء بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ، الخطاب لعامة أهلَ الكتَاب، و الدعوَة فى قولَه: تَعالَوْا إلى كَلمَة «إلخ» بالحقيقة إنما هى إلى الاجتماع على معنى الكلمةَ بالعمل به، و إنما تنسب إلى الكلمة لتدل على كونها دائرة بألسنتهم كقولنا اتفقت كلمة القوم على كذا فيفيد معنى الإذعان و الاعتراف و النشر و الإشاعة. فالمعنى: تعالوا نأخذ بهذه الكلمة متعاونين متعاضدين فى نشرها و العمل بما توجبه.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٦

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- و السواء فى الأصل مصدر، و يستعمل وصفا بمعنى مساوى الطرفين، و سواء بيننا و بينكم أى مساو من حيث الأخذ و العمل بما توجبه، و على هذا فتوصيف الكلمة بالسواء توصيف بحال المتعلق و هو الأخذ و العمل، و قد عرفت أن العمل إنما يتعلق بمعنى الكلمة لا نفسها كما أن تعليق الاجتماع أيضا على المعنى لا يخلو من عناية مجازية

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٦

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- ففى الكلام وجوه من لطائف العنايات: نسبة الاجتماع إلى المعنى ثم وضع الكلمة مكان المعنى ثم توصيف الكلمة بالسواء!.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٧

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- و ربما قيل: إن معنى كون الكلمة سواء أن القرآن و التوراة و الإنجيل متفقة فى الدعوة إليها، و هى كلمة التوحيد،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٧

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- و لو كان المراد به ذلک كان قوله تعالى: أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ «إلخ» من قبيل وضع التفسير الحق موضع الكلمة المتفق عليها، و الإعراض عما لعبت به أيديهم من تفسيره غير المرضى الذى تنطبق الكلمة بذلک على أهوائهم من الحلول و اتخاذ الابن و التثليث و عبادة الأحبار و القسيسين و الأساقفة

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٦

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- وِ يكون محصل المعنى: تَعالَوْا إلى كَلمَةٍ سَواء بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ و هى التوحيد، و لازم التَوحيدَ رفضَ الشَركاء و عدم اتخاذ الأرباب من دون الله سبحانه.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٦

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- و الذى تختتم به الآيـة مـن قولـه: فَـإِنْ تَوَلَّـوْاْ فَقُولُـوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ يؤيـد المعنـى الأوَل فـإن محصـل المعنى بَالنظر إلَيه أنه يدعو إلى هذه الكلمة و هى أن لا نعبد إلا الله «إلخ» لأنها مقتضى الإسـلام لله الـذى هـو الدين عند الله، و إن كان الإسلام أيضا لازما مـن لـوازم التوحيد لكن الدعوة فى الآية إنمـا هـى إلـى التوحيـد العملى و هو ترک عبادة غيـر الله سـبحانه دون اعتقـاد الوحدة، فافهم ذلک.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٦

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ

- قوله تعالي: أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ، تفسير للكلمة السَواء، و هى التى يوجبهَا الإسلاَم للّه.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٦

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- و المراد بقوله: أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ، نفى عبادة غير الله لا إثبات عبادة الله تعالى عَلى ما مرت الإشارة إليه فى معنى كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله): أن لازم كون إلا الله، بدلا لا استثناء كون الكلام مسوقا لبيان نفى الشريک دون إثبات الإله، فإن القرآن يأخذ إثبات وجود الإله و حقيته مفروغا عنه.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٦

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- و لما كان الكلام مسوقا لنفى الشريک فى العبادة و لا ينحسم به مادة الشرک اللازم من اعتقاد البنوة و التثليث و نحو ذلک أردفه بقوله: وَ لا نُشْرِکَ به شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ «إلخ» فإن تسمية العبادة بعبادة الله لَا تصير العبادة عبادة لله سبحانه ما لم يخلص الاعتقاد و لم يتجرد الضمير من الاعتقادات و الآراء المولودة من أصل الشرک

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٦

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- لأن العبادة حينئذ إنماتكون عبادة إله له شريک و العبادة التى يعبد بها أحد الشريكين و إن خص باسمه و وجه نحوه ليست إلا نابتة منبت التشريک لأنها لا تعدو أن تكون سهما يسهم له و حظا يقسم له من بين الشريكين أو الشركاء ففيها بعينها نحو عبادة للغير.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٦

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- و هذا الذى يدعو إليه النبى بأمر الله سبحانه، و هو الذى يدل عليه قوله: أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِه شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ، هو الذى يجمع غرَض النبوة فى السيرة الَتى كانَت الَأنبياء تدعو إليها و تبسطها على المجتمع الإنسانى.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٦

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- فقد تقدم عند الكلام على قوله تعالى: «كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً»: البقرة- ٢١٣ أن النبوة انبعاث إلهى و نهضة حقيقية يراد بها بسط كلمة الدين و أن **حقيقة الدين تعديل المجتمع الإنسانى فى سيره الحيوى**، و يتبعه تعديل حيوة الإنسان الفرد فينزل بذلك الكل منزلته التى نزله عليها الفطرة و الخلقة فيعطى به المجتمع موهبة الحرية و سعادة التكامل الفطرى على وجه العدل و القسط،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٦

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- و كذلک الفرد فهو فيه حر مطلق فی الانتفاع من جهات الحيوة فيما يهديه إليه فكره و إرادته إلا ما يضر بحيوة المجتمع و قد قيد جميع ذلک بالعبودية و الإسلام لله سبحانه، و الخضوع لسيطرة الغيب و سلطنته.

الميزان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۴۶

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- و خلاصة ذلک أن الذى كانت تندب إليه جماعة الأنبياء ع أن يسير النوع الإنسانى فرادى و مجتمعين على ما تنطق به فطرتهم من كلمة التوحيد التى تقضى بوجوب تطبيق الأعمال الفردية و الاجتماعية على الإسلام لله، و بسط القسط و العدل، أعنى بسط التساوى فى حقوق الحيوة، و الحرية فى الإرادة الصالحة و العمل الصالح.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٦

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- و لا يتأتى ذلک إلا بقطع منابت الاختلاف و البغی بغير الحق و استخدام القوی و استعباده للضعيف و تحكمه عليه، و تعبد الضعيف للقوی فلا إله إلا الله، و لا رب إلا الله، و لا حكم إلا لله سبحانه.

الميزان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۴۶

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- و هذا هو الذي تدل عليه الآية: «أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ» الآية، و قال تعالى فيما يحكيه عن يوسف ع: «يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَ أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْماءً سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ»: يوسف- ۴۰،

الميزان فی تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۴۶

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- و قال تعالى: «اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إِلَّا هُوَ»: التوبة- ٣١، إلى غير ذلك من الآيات.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٧

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- و فيما حكاه القرآن عن الأنبياء السالفين كنوح و هود و صالح و إبراهيم و شعيب و موسى و عيسى ع مما كلموا به أممهم شيء كثير من هذا القبيل كقول نوح: «رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَ وَلَدُهُ إِلَّا خَساراً»: نوح- ٢١، و قول هود لقومه: «أَ تَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَ تَتَّخِذُونَ مَصانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَ إِذا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ»: الشعراء- ١٣٠،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٦

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- و قول صالح لقومه: «وَ لا تُطيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفينَ»: الشعراء- ١٥١، و قول إبراهيم لأبيه و قومه: «ما هذه التَّماثيلُ الَّتي أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ قالُوا وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدينَ قالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ في ضَلال مُبين»: الأنبياء- ٥٤، و قوله تعالى لموسى و أخيه: «اذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى- إلى أن قال-: فَأْتِياهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنا بَني إِسْرائيلَ وَ لا تُعَذِّبْهُمْ»: طه- ٤٧،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٧

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- و قول عيسى لقومه: «وَ لأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ»: الزخرف- ۶۳،

الميزان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۴۷

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- فالدين الفطرى هو الذى ينفى البغى و الفساد، و هذه المظالم و السلطات بغير الحق الهادمة لأساس السعادة و المخربة لبنيان الحق و الحقيقة،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٦

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- و إلى ذلک يشير قول النبى ص فى حجة الوداع: (و قد ذكره المسعودى فى حوادث سنة عشر من الهجرة فى مروج الذهب)، «ألا و إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات و الأرض» و كأنه ص يريد به رجوع الناس إلى حكم الفطرة باستقرار سيرة الإسلام بينهم.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۴۶

قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلِمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ

- و الكلام أعنى قوله تعالى: أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ «إلخ»، على كونه آخذا بمجامع غرض النبوة مفصح عن سبب الحكم و ملاكه.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٦

• أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً

• أما قوله: أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً، فلأن الألوهية هى التى يَأله إليه و يتوله فيه كل شىء من كل وجه، و هو أن يكون منشأ لكل كمال فى الأشياء على كثرتها و ارتباطها و اتحادها فى الحاجة، و فيه كل كمال يفتاق إليه الأشياء، و هذا المعنى لا يستقيم إلا إذا كان واحدا غير كثير، و مالكا إليه تدبير كل شىء، فمن الواجب أن يعبد الله لأنه إله واحد لا شريك له، و من الواجب أن لا يتخذ له شريك فى عبادته،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٦

• أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً

- و بعبارة أخرى، هذا العالم و جميع ما يحتوى عليه لا يصح و لا يجوز أن يخضع و يتصغر إلا لمقام واحد إذ هؤلاء المربوبون لوحدة نظامهم و ارتباط وجودهم لا رب لهم إلا واحد إذ لا خالق لهم إلا واحد.
-

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٦

وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّه

- و أما قوله تعالى: وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّه فمن حيث أفاد أن المَجتمع الإنسانى علَى كثرةَ أفرَاده و تفرق أشخاصه أبعاض من حقيقةٌ واحدةٌ هى حقيقةٌ الإنسان و نوعه فما أودعته فيه يد الصنع و الإيجاد من الاستحقاق و الاستعداد الموزع بينهم على حد سواء يقضى بتساويهم فى حقوق الحياةٌ و استوائهم على مستوى واحد،

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص٢٥٠

وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ

- و ما تفاوت فيه أحوال الأفراد و استعدادهم فى اقتناء مزايا الحياة من مواهب الإنسانية العامة التى ظهرت فى مظاهر خاصة من هاهنا و هناك و هنالک يجب أن تعطاه الإنسانية لكن من حيث تسأله، كما أن الازدواج و الولادة و المعالجة مثلا من مسائل الإنسانية العامة لكن الذى يعطى الازدواج هو الإنسان البالغ الذكر أو الأنثى، و الولادة يعطاها الإنسان الأنثى و العلاج يعطاه الإنسان المريض.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص٢٥٠

وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ

- و بالجملة أفراد الإنسان المجتمع أبعاض متشابهة من حقيقة واحدة متشابهة فلا ينبغي أن يحمل البعض إرادته و هواه على البعض إلا أن يتحمل ما يعادله، و هو التعاون على اقتناء مزايا الحياة، و أما خضوع المجتمع أو الفرد لفرد أعني الكل أو البعض لبعض بما يخرجه عن البعضية، و يرفعه عن التساوي بالاستعلاء و التسيطر و التحكم بأن يؤخذ ربا متبع المشية، يحكم مطلق العنان، و يطاع فيما يأمر و ينهى ففيه إبطال الفطرة و هدم بنيان الإنسانية.

الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٦

وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ

- و أيضا من حيث إن الربوبية مما يختص بالله لا رب سواه فتمكين الإنسان مثله من نفسه يتصرف فيه بما يريد من غير انعكاس، اتخاذ رب من دون الله لا يقدم عليه من يسلم لله الأمر.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۴۶

وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّه

- فقد تبين أن قوله: وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّه يفصح عن حجتين فيماَ يفيده من المعنى: إحداهماَ كونَ الأفراد أبعاضا، و الآخر كون الربوبيةَ من خصائص الألوهيةَ.

الميزان فى تفسير القرآن، ج۳، ص: ۲۴۶

وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّه

- قوله تعالى: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ استشهاد، بأنهم (و هم النبى ص و من اتبعه) على الدين المرضى عند الله تعالى و هو الإسلام، قال: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ»: آل عمران- ١٩، فينقطع بذلك خصامهم و حجاجهم إذ لا حجة على الحق و أهله.
  الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٥١
- و فيه إشارة إلى أن التوحيد فى العبادة من لوازم الإسلام.

الميزان فى تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٤٦